الذين يحبهم الله

للكاتبة الانجليزية كليدا هيوز

ترجمة : صلاح عبد اللطيف

سار دافيد وليمز متجها الى البيت الريفي في تكاسل ووهن . كانت الشمس ترسل أشعتها فوق المراعي ، والتلال تبدو في الخلف قاتمة وكئيبة ، وكانت السماء في صباح ذلك اليوم يميل لونها الى الاحمرار .

اما وليمز فهو رجل طويل ، ذو وجه جميل ومهذب ولكن آثار الزمن كانت بادية عليه . مضى يسير في خطوات طويلة وسط الأراضي الزراعية كما لو أن مشاغله دفعته الى أن يصير فراعا مكشوفا ، ولكن الملاحظ ان ثمة شيئا يبدو في مشيته أكثر من كونه فلاحا ، انه لا يعنيا كثيرا بالحياة فليس مجرد أن يعاني التعب في الحقل يكون قد عمل شيئا جسيما .

طلع الى التلال التي تقف سندا مهيبا بينما كانت يده تتلمس سقالة باب الحديقة لتفتحه ، ثم دخل المنزل الريفي وهو الطابع الشائع للمنزل وعلى وفق المطبخ كانت هناك علايات نحاسية أصفت عليه رونقا ، وكانت النار تثير في الدفء رغم حرارة الصيف ، وفي معظم الحالات كانت غلاية الشاى توضع فوق مدفئة الطعام أو أمام النار . وبحوار المطبخ تمدد « بان » وهو كلب اسكتلندى اسود اللون ذو وجه دقيق وعينين ملونتين بالثقة ، لقد تدرب على حراسة الأغنام تدريبا ممتازا .. اما « بوب » الكلب الآخر فهو عامل ماهر وان كان اقل حماسا ، وعندما لاح الكلبان امام الباب لم يبد سيدهما او سيدتهما ترحيبا بهما للدخول .

وضمت الفتاة ذات الوجه الأحمر اللمسات الأخيرة على المائدة وهي الفتاة التي تقوم بخدمة المنزل .. وفي مواجهة دافيد جلست زوجته بلودوين .. كانت تبدو عليها علامات الصحة والجمال ، وكانت أكبر من زوجها بست سنوات ، ولكن وجهها كان يعبر عن الشعور بالسخط .

قطعت شريحة اللحم واعطت دافيد نصيبه منها وتحدثت قليلا ، أما هو فادار محاولة جريئة للمسافة وهو يحكي لها عن السيدة جونز التي زرقت مواليد جديد والسيدة وليمز التي رحل ابنها الى جنوب ويلز وفيكار الذى رحل هو الآخر ليتمرن باعداد كرتشرتو موسيقي بمساعدة المدرسة ..

وعندما جاء ذكر الموسيقي ازداد وجهها تجهما ..

فقد حصلت ديردر الفتاة التي يحبها

داهيد على اخباره في ايسند فورد هذا العام .. وديردر هذه فتاة جميلة تعمل في مزرعة مجاورة مع طفليهما وتحلب الأبقار رغم انها تبدو ازرق من ان تعمل آنسة اللبن .. ولقد عاش داهيد مع بلودوين فترة طويلة الى حد انه يستطيع ان يقرأ افكارها ويدرك اى نوع من الأفكار يراودها حتى ولو كانت صامتة .

ـ هل رأيتها اليوم ؟

قبل ان تتفوه بهذه العبارة .. تغير لون وجهها ..

سؤال وهو يتظاهر بعدم فهم مانعنيه .

ـ من ؟ ..

ـ لماذا تعرف احسن مني يا داهيد .. ويردد بالطبع .

وعند ذلك امتقع وجهه ثم قال في قلق بالغ .

ـ كلا .. واعتقد انك لا تريدين لي ذلك .. ثم كيف يمكن لي ان اراها مصادفة في التلال .. انه وحده يعلم .

لكن بلودوين لم تكن راضية .. انها تحب وجهها ذلك الرجل الذي حامت عيناه على أخرى أصغر منها .. على كل ما في داخلها بالحقد ، انها تريد ان تعرف هل ديردر تفكر فيه ايضا .. ثم من هي ديردر هذه ؟ .. لقد سمعت انها رفضته قبل أن تتزوج منه وهي الآن تعيش مع طفلين في المزرعة التي تعمل فيها .. هذه الفتاة بشكلها الجميل ووجهها الرقيق وانسيمها الذي يثير الخيال ربما تغير تفكيرها منه ان تزوج داهيد منه خمس سنوات .

ان بلودوين لا تستطيع أن تواجه الحقائق كما هي .. ان زوجها طيب للغاية معها وهو يعمل ذلك رغم كل ما يتوقعه منها .

ولكن الخمر في رأسها لا يهدأ ..

قالت :

ـ ليس غريبا ان أتحدث عنها بعد كل ماعرفته .

قال داهيد في حدة :

ـ انت تعلمين اني لم اكن كاذبا معك أبدا .. لقد تحدثت عن هذه الفتاة الى حد اني لم أعد أحتمل اكثر من ذلك .. وانت لو أصررت على ذلك فسنتصايح بالجنون ، كما أنا قررنا الا نتحدث عن ذلك مرة أخرى ..

وعند ذلك حيم عليها الصمت ، لكنها بقيت غير مستريحة ، وأعطته قطعا من البطاطس وانطلق فكرهما طوال الوقت يهيم في شتى البطون ..

انتهى من طعام غدائه ، ثم جلس الى المدفئة ثم ارتدى ملابسه فقد كان داهيا الى السوق ، ومن عادته ان يذهب اليها ممكرا ، وفي هذا اليوم اراد أن يقابل واحدا أو اثنين من الفلاحين قبل أن يعودوا الى ديارهم لمناقشة معهم بعض الامور قبل أن يخرجوا بدوابهم وعرباتهم بولسبره الخط فانه تأخر اليوم عن الذهاب الى المدينة كعادته ، ولكن على اية حال لم يتأخر كثيرا ،

ـ دعيني اقبلك قبل أن اذهب .. بلودوين .

قال ذلك وقد تحول فجأة غضبه الى رقة .

وعلم ان قبلته كانت رقيقة على غير عادتها فان بلودوين لعبت القدر لأنها لم تستطع أن تسيطر على عقله وقلبه واحساساته الدفينة ، لقد كانت مستطيعة أن تتحكم عليه الحياة ، وتأخذ عليه العهود لتشهد طاعته لها في كل خطه ، ولكن قلبه وعقله بكل احلامها كانت بعيدة المنال عنها .

في هذا اليوم لم تستطع بلودوين أن تحظى بالراحة في منزلها . وضعها القلق أن تخرج . فما ان عرفت افكارها في ديردر حتى وجدت نفسها تذهب الى مزرعة السيدة توماس حيث تعمل العناء كما لو ارادت ان ترى أنهما لازالت باقية .

كان الهواء شديد البرودة ، وفي السماء غيوم ولكن الشمس لازالت مشرقة والسحب تتقشع سريعا وتلقي اظلال فوق التلال المتراصة الأطراف . ان الطبيعة في المناطق الجبلية يتغير مزاجها في لحظة . وحملقت بلودوين في الجبال الداكنة الممتدة أمامها وأدركت أن السماء ستمطر قبل أن يحل الليل ، واسرعت تمشي بجوار الحدائق الجبلية وفي طريقها كانت تقفز أغنام ويلز بوجوهها المدببة الصغيرة وسيقانها الجميل وأذيالها الطويلة ، وكذا سارت طهر بحانبها بعض الشجيرات الصغيرة ، والطريق أمامها تبدو لونا بنفسجيا وارجوانيا بتأثير النباتات حيث كان نبات السرخس ينتشر حول الطريق ، وفوقها كان يطير واحد أو اثنان من طيور الدورس ..

لقد كان المكان مقفرا ويبعث على الرعب ..

وبدا المطر يتساقط ...

وعطرت السيدة ويلز الى البحيرة التي تقع بين الجبال ، كانت قاتمة واشبه بشيء كئيب وقبل ذلك كانت اشعة الشمس تتراقص على السطح الأزرق المتلألىء للبحيرة ، أما الآن فان كل شيء داكن وشديد البرودة ولا يكاد يحتمل . ووجدت في الكوخ عجوزا من طائر بري فارتمت بلودوين ، ثم رفعت باقة معطفها وعادت تحت المطر ..

وصلت الى المزرعة ، ثم فتحت بابا حديديا يشبه الى حد كبير باب الأقفاص ، ان ويلز الشمالية تمتلىء كثيرا بمثل هذه الأشياء ـ ثم عبرت طريقها متجهة الى الحقول ..

وأمام المنزل كان كثير من الغنم الأبيض ، انه تقليد يتبعه بعض المزارعين والفلاحين ليربوا به المكان مع مراعاة أن يكون الغنم أبيض اللون ..

استقبلتها عواء كلب عندما اتجهت ناحية الباب .. وتطلعت امرأة كانت تعمل في المطبخ لترى من القادم ، لكن السيدة توماس فتحت الباب الأمامي بنفسها فصدر منه صوت كما لو كان الباب لايفتح كثيرا ، والحقيقة ان الباب الخلفي كان يستخدم كثيرا ، وكانت الحجرة التي استضيفت فيها بلودوين تضم صورا رياضية علقت على جدرانها ، وقفص طيور ، وآلة موسيقية فوق البيانو مكتوب عليها « الله محبة » .

قالت بلودوين للسيدة توماس :

ـ كنت أحتي أن تكوني ذهبت الى السوق ، ولكن على اية حال أرجو أن القي نظرة لأطمئن عليكم .. الم يبارحك مرض النقرس بعد ؟

قالت السيدة توماس :

ان قدمي تؤلمني قليلا ، وتقوم ديردر بأعمالي ، انها فتاة طيبة جدا ، واستطيع ان اعتمد عليها .

جاست السيدة ويلز . أجل هذا بالتأكيد ما جاءت من أجله .

ـ ان ابنك يتمشى معها في الخارج .. أليس كذلك ؟

سألت بلودوين وهي تعرف أن هذا ليس هو الموضوع ، ولكنها لم تستطع أن تبعد الفتاة عن ذهنها .

قالت مدام توماس :

ـ اتمنى ذلك ، فان كبار الطفلين يحبانها جدا ، لقد ذهبت الى السوق مع وليمز اليوم ، انهما تعتبر الى حد كبير واحدة من العائلة ... هل رأيت الجوائز التذكارية ، لقد كان الخط عليها في منتهى فورد هذا الموسم ..

وقامت السيدة توماس تعرض لها الجوائز في زهو ..

ـ انها فتاة محظوظة هذا دائما .. ان الله يحبها ..

قالت بلودوين ذلك ، حتى تصبح التذكارات قبل أن تتأملها فهذا الحديث قد يأتي على عقلها ..

وتحدثا عن أسعار السمك ، والآلات الموسيقية الجديدة ، وتحدثا كثيرا عن عدم فيكار .. وبين الحين والحين كانت بلودوين تنظر الى ساعتها وهي تتوعد رحيلها ..

وبدا الوقت متأخرا ولم يأت ديردر ولم تستطع السيدة توماس أن تدرك سر تأخرهما ..

وأخيرا بدأ القلق يتسلل بلودوين ، وقررت أن تعود الى منزلها عن طريق التلال ، لأنه طريق أكثر حفاظا ، ولكنها تأخرت ، والمكان يبدو مهلكا لمن يجهله

كان المد قد طغى ناحية التلال وغمرت المياه السمح ، وكان الضوء يومض ويخبو ناحية البحر ، اما الشجيرات الصخمة فكانت تتسلق اشكالا آدمية ، ووصل اليها هدير البحر ورائحة الملح فملأ فمها وأنفها ، وطائر البوفس فوقها يقطع الظلام بصرخاته ، وقد اثار منظر الأصنام وهي تسير بحوار احدى الصخور الصخمة الرعب في نفسها ، وردوى من بعيد صوت الرعد ..

طوال الطريق كانت الظنون يقربها ، كان يخيل لها انها ترى وجها شاحبا وجميلا وعينين تضحكان وشعرا قصيرا جميلا .. لو انها فقط استطاعت أن تملك قلب زوجها !

واحست ببرودة الريح ، وامطرت السماء وعند ذلك تعثرت ثم نهضت تواصل المسير ، لقد كانت ليلة فظيعة وافكارها أيضا كانت فظيعة ، لقد كرهت هذه الفتاة التي يوليها الله عطفه ، وطالما نامت على فيد الحياة على يمكنها ان تتأكد ان زوجها سيتحلص من احلامه ، كيف يمكنها ان تتخلص من هذه الفتاة الى الأبد .. هذه الشركة في الجسد

وترايدت كراهيتها التي يعديها خيالها المعذب ..

هل يمكن ان تعيش وترى هذه الفتاة بعد عمر طويل ، ولم تستطع أن تتصور ذلك الواقع ، وفضلت ان تقطع شرايينها ، وتسحق الزهرة تحت قدميها .. واحتقنت الضحكات في دمها ، لو انها فقط تستطيع أن تكتم انفاسها ..

وصاحت وكأنها تصلي من قلبها ..

ـ اللهم استمع الى ، اني أتوسل اليك .. دعها تموت .. دعها تموت .

لقد ارادت الموت لديردر ، انه شيء طبيعي أن تدعو الى الله بذلك بسبب ترتيبها الديمومة والسرعة التعليمية ايضا .

وعادت تصرخ :

ـ يارب .. يارب .. اقتلها .. اقتلها .. دعها تموت .

ودوت الكلمات مرتفعة مع الرياح ، وأحست أن جسدها يتصلب من شدة السخط ..

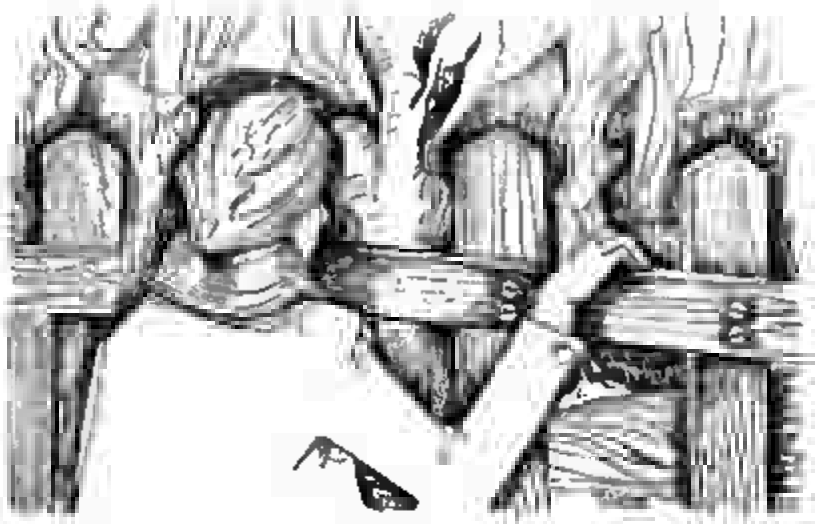

وقالت وهي تحدث نفسها :

ـ لو انها هنا الان لدفعتها من فوق التل ، وادع جسدها الجميل يسقط في البحر واسمع صراخها وارى وجهها الابيض بعد ان تصبح جثة هامدة .

سيكون الأمر عندئذ مجرد حادث ويمكنني ان اهرب من العشاق ، بعد بعثرت بجسمها عندما كان الطريق ضيقا .

وتساءلت :

ـ هل يرتكب الناس العاديون مثل هذه الجريمة . ولكنها لم تحفل .

وعند ذلك بدا كما لو ان عويلا حمله الرياح .. أخفته صرخة مدوية واحست ان شيئا لامسها وهي تسير رغم أنها كانت في وعيها ولم تكن تحلم وبدا لها أن هذا الشيء يمسك بصدرها الى حد أن قلبها كاد ان يتوقف وارتعشت فرائصها ولم تستطع أن تواصل المسير ، وتلاحقت أنفاسها وغمرت الدموع عينيها وسمعت من على بعد دقات الساعة تعلن الثامنة ورغم أنها كانت قريبة من الكنيسة ومنطقة العمران الا أن ذلك لم يجلب الراحة اليها ، لقد كانت تحاصرها أرواح شريرة ، وخيل لها أن أشباحا تسير في الظلام وأن شيئا يلمس وجهها . وسمعت أصواتا تنذر بالسوء . هل يمكن أن يكون كل ذلك بسبب الرياح . وخيل لها انها رأت وجه زوجها في الظلام شاحبا وهو يصدها .

وعادت تسير وهي تتعجب ، وتصاعدت من شفاهها دعوات ولعنات في تمتمات غريبة . انها ستقصاب بالجنون . حتى الأغنام ذات الرؤوس البيضاء جعلت الفرق يسيل من جبينها ، واحست انها ستسقط في اية لحظة وتمنت لو ان تموت وتستريح .

وتحولت وهي تسير في حذاء البحر ثم عبرت السلاسل الصخرية ووجدت نفسها تخوض في مستنقعات حمئية ، وتحولت مرة أخرى وسارت في حذر وسط الأشجار وتعثرت في شجرة مسنخمة ، ثم جثت الخطر من جديد ، وعندما اقتربت من المنزل بدأت انفعالاتها تهدأ ، وسادتها السكينة بعد موجة من الحمى ، لقد كان جسدها ومشاعرها الداخلية مرهقة للغاية وبعضت تحرجر أعضاءها في ارعاش ، كان شعرها مبتلا وحذاؤها ممتلا

فاحست أن الما اصابها في مؤخرة قدمها ، وعندما التصقت ملابسها بجسدها اقشعر بدنها بسبب البرد والارهاق .

فتحت باب الحديقة وعبرت الممر ، ثم فتحت الباب الامامي . كان شخص ما يتحرك داخل الحجرة . ولمحت وجه السيد وليم توماس وهو يبدو شاحبا في ضوء المصباح . وتطلعت اليهما الخادم ثم همست :

ـ سيدة وليمز .. السيد توماس في انتظارك انه يريد ان يقول لك شيئا ياعزيزتي .

ولاحظت بلودوين لهجة التردد ، وتحولت تتأمل وجه وليم توماس . كانت شفاهه شديدة الزرقة .

ـ لدي انباء سيئة يا مدام وليمز . بالله من دنيا .. وبرود المسكينة ..

قالت بلودوين بصوت هادىء وهي تحس بالبرد يتسلل بدنها :

ـ استمر ..

ـ ماتت .. تهشمت كالزهرة وهي في طريقها . لقد كان ذلك نحو الساعة التاسعة وعشر دقائق احتلطت كلماته بالدموع .

« ونحو الساعة التاسعة » .. رنت الكلمة في رأسها ، وتذكرت عندما سمعت دقات الساعة ، انها كانت اذن بعد لحظة للقتل وهي تصل الى الله قبل ذلك بقليل انها قاتلة .. قاتلة ..

وتصورت نفسها وهي في حجرة النسيقة .

وحاولت أن تصرخ وهي تلاحق انفاسها . وتحمد لسانها في فمها .. وارتعشت قرائصها . واستطاعت ان تتكلم وهي تقول :

ـ يا للفتاة المسكينة !

انها لم تسقط دما .. وادركت ان قوة الهية تدخلت في الأمر .

قال وليم توماس منكسرا ، تماما مثل الزهرة » .

ماتت ديردر .. هي التي قتلتها !! لابد ان روحها هي التي كانت تسعى هناك عند التل .

لقد قتلت أحلام داهيد .. وما سأمتلكه لنفسي الآن .. لا شيء يحول بيني وبينه . ثم قالت بصوت عال :

ـ لا تحزن نفسك كثيرا ياوليم .. انى اعرف انه شيء يبعث على الألم وتنهدت الصعداء .. ، لقد استجاب الله لدعائي ، ـ واحست أنها عادت تماما ويمكنها أن تعيش في سعادة فلن تتدخل بينها وبين زوجها مرة اخرى .

عاد وليم توماس يقول وهو يحاول أن يبعد الخوف من صوته :

ـ داهيد !! لقد ذهب الى الاسواق كما تعلمين وعندما رأى « سوان » تسقط جرى نحوها فقد كانت سيارة مسرعة قادمة ، واعتقد انه قد عمى عليها وحتى أن تصدمها السيارة فاراد ان ينقذها منها ، ثم اندفع الى الطريق وحدثها من ظهرها لكنه لم يكن يعرف بها قد ماتت .. لقد ماتت فجأة في الشارع واعتقد ان هبوطا اصابها في قلبها .. ثم اتت عليه السيارة داهيد المسكين .

قالت بلودوين وقد تغير لون وجهها وهي لا تعرف كيف يجيبها :

ـ داهيد ؟

ثم اطلقت صرخة مدوية .. وظلت تصرخ الى حد انه بدا أن ليس ثمة شيء يمكن أن يعيد الهدوء اليها